شعر التجديد

ومذاهب النقد

النقد الأدبي ورجاله ـ المذهبان الأصيلان ـ حدود المذهب الفردي ـ تطبيق المذهب العام

(١)

النزاع بين الأدباء والناقدين قديم معروف ، لا تخلو منه آداب أمة من الأمم ، فالنقاد متطرفون غالباً ، والأدباء الذين أرهقهم جدهم في إخراج ثمرات عقولهم ونفوسهم وأعصابهم لا يسرهم أن تتناول المعاول المتطرفة في غير إشفاق ، بل ويتملكهم الغضب إذا رأوا عيباً محصوراً ـ نسبياً ـ يتطاول على مؤلفاتهم فتنالها سخريته اللاذعة ! . . ولعل هذا هو الذي دعى شلي (Shelley) الشاعر الانجليزي المعروف إلى أن يقول :

« ماعدا أمثلة نادرة لا يمثل النقاد سوى سلالة غبية خبيثة ، وكما يتحول اللص المفلس في يأسه إلى خفير كذلك يتحول المؤلف العاجز إلى ناقد » ! . .

وهو رأي قاس ولكنه صادر عن نفس أمضها عنت الناقدين ، ولعل كلمة شلي هذه ـ على شدتها ـ أخف على النقاد وطأة من الكلمة الناعمة التي يصفهم بها الأديب الشهير كولردج (Coleridge) حيث يقول :

« النقاد هم عادة أناس كان ينتظر أن يكونوا شعراء ومؤرخين وكتاب سير لو استطاعوا وقد جربوا مواهبهم في هذا أو ذاك ففشلوا . ولذلك انقلبوا نقاداً ! » . . . وصراحة انني أميل غالباً إلى الاتفاق مع هذين الرأيين وإن كنت لا أحب استعمال العبارات القاسية . فالفرض الأول من النقد هو

الاصلاح ، وذلك يقوم على شيئين : الهدم والبناء . . . لا الهدم فقط ، لأننا نهدم تمهيداً للبناء . فالأول عرض والثانى جوهر . وليس كل شيء قابلا للهدم لأن هذه العملية من أسهل الأمور ، فيجب أن تقوم أسباب وجيهة تدعو إلى ذلك أولا ، ويجب أن يعقب الهدم بناء أصلح من المهدوم أخيراً . . . ولا داعى لهدم لا يعقبه بناء مهما رث المهدوم . فشيء خير من لاشيء !..

وليس لنقد الأدب أو الشعر قواعد ولا موازين تميز الزائف من الصحيح ، ولكنها مسألة متروكة لذوق الناقد وملكته الأدبية وسعة اطلاعه ودقة ملاحظته ؛ ثم إن قرار الناقد لا يمكن أن يكون مع ذلك رأياً مقطوعاً بصحته ، فليس له أن يتحكم في اختيار الخلود التى يقيمها للأدب ، أو يتعنت في أحكامه على الأدباء ثم يطلب منهم أن يؤمنوا بها أو يحلوها محل الاعتبار ! . . ويجمل بنا أن نذكر هنا أن للنقد مذهبين أصلين هما : المذهب الفردى والمذهب العام ، ولا يقتصر المذهب الفردى على المذهب الشخصى فقط . فقد يكون مذهب جماعة من الناس ولكنه يفتقر على أى حال الى مبادىء المذهب العام ، ولعل من تحصيل الحاصل أن نقول إن الناقد المنصف هو الذى يفزع إلى المذهب العام فينقد الأثر الأدبى حيث هو ، متأثرا بالوسط والبيئة ، مراعيا الآراء والافكار التى تلابسه وتشغل أذهان معاصريه ، ثم يصدر حكماً يتناسب مع أثره فى عصره وقيمته فى البيئة التى خرج منها . أما المذهب الفردى فهو مجرد آراء مطلقة قد تكون مقبولة ولكنها مع ذلك قليلة الجدوى !

أما أن يتقدم ناقد فيخترع لنا قوانينا للشعر والشعراء ويطبقها على الوجه الذى يختاره ولا يقبل فى ذلك نقاشا ولا مراجعة ! فنحن لا نفعل معه أكثر من توجيه نظره الى اقوال شلى وكولردج التى ذكرناها آنفا . . .

وإما أن يرى الناقد أثراً أدبيا فيقبض شفتيه ويهز رأسه ويتمتم قائلا « هذا لغو . . . هذه دردوة ! » فاذا طلب اليه أن يسجل آراءه حتى يمكن

مناقشتها والرد عليها أتاك بأساليب لولبية عجيبة لايفهم منها شيئاً مستقلا ، أو يغيب على الأديب مفخرة من مفاخره ويعدها من المثالب ثم ينتظر تصفيق الاعجاب فهذا مالا طاقة لأحد — دع عنك الأديب نفسه — باحتماله ! . .

ومع ذلك فقد كان الشعراء — ولا يزال بعضهم إلى الآن — يتلطفون للنقاد في الرد ، ويحاولون أن يفهموهم في هوادة وجهة نظرهم ، أو بالحرى أنهم كانوا يقومون بوظيفة الناقدين لما يكتبه النقاد أنفسهم ؛ ولقد كان أحرى بهؤلاء أن ينتفعوا بهذه النماذج التي تخلصهم من أغلال المذهب الفردي وتسمو بهم إلى المذهب العام ، ولكن كبرياءهم أبت عليهم مثل هذا فتسعت دائرة الخلف بين الشعراء والنقاد وأصبح أكثر أولئك لايعنى بما يكتبه هؤلاء . ومن ثم انحط عندنا فن النقد فقد انصرف عنه الأدباء وانصرف إليه المتسكعون !

وليس معنى هذا أننا ندعو إلى ترك المذهب الفردى فى النقد أو نبخسه قدره ، فله أثره ، ولكنا نقول إنه لايكفى وحده ، ولكن حبذا لو أخذ الناقد بالمذهبين .

وسندرس معاً شعر شاعرين من كبار شعرائنا على الطريقتين : الفردية والعامة وقد نتخلص بعد ذلك إلى المقارنة بينهما فذلك يسهل بعد تلك الدراسة :

وسيكون الشاعران هذه المرة — وعلى سبيل المثال فقط — أبا شادى والعقاد ، وقد نعود لهما أو لغيرهما في فرصة أخرى .

(٢)

وليكن المذهب الفردى — مثلا — أول المذهبين اللذين ندرس عليهما أدب أبى شادى والعقاد . . . ولتكن دراستنا عملية منطقية وسنجتهد فى التحديد لتكون سهلة سائغة ؛ وقد يعجب بعض القراء مما سنتحرى تحديده من قواعد هذا المذهب . وربما ذهب إلى أنه لايوجد من يتخذ من مثل هذه القواعد مقياساً

نقد الشعر ، ولكنا نطمئن هذا البعض ونقول إن ماسنذكره ليس من وضعنا ولكنها صادفتنا فيما قرأناه من نقد يوجهه دعاة المذهب الفردى إلى بعض الشعراء ! . . أما قواعد هذا المذهب فيمكن تلخيصها فيما يأتى :

(١) إن الشاعر لايجب أن يتأثر بما كان ينشره الفلاسفة عن السعادة والفضيلة وغيرها

(٢) يجب أن لايكون الشاعر ذا حرفة « تستنفد شطراً كبيراً من جهده وعنايته » لأن لذة العمل العلمى قد « يستنكرها البعض على شاعر » !

(٣) يجب أن يحوط الشاعر اذا عرض النظم للتصوف « ابهام المتصوفين المألوف » ولا يجوز أن يكون « واضح منهج التفكير » !

(٤) « الشعر والفلسفة والعلم مراتب متفاوته فى إدراك الحياة وتصورها ، تختلف من حيث الابهام والوضوح ولكل منها حدودها » ولا يجوز مطلقاً أن يهضم الشعر شيئاً من العلم أو الفلسفة !

(٥) لا يجوز للشاعر أن « يتحرى التحديد فى أفكاره ، وأحرى بأن تقرأ تلك الحدود الفنية التى يقيمها للشعر فى كتاب نقد لا فى ديوان شاعر » وأسلوب الشاعر وأفكاره ومعانيه يجب أن تكون بعيدة عن الترتيب المنطقى لأن المنطق علم وفلسفة والشعر لايمكن أن يهضم علما ولا فلسفة !

(٦) يجب أن يتحرى الشاعر التأنق والتظرف فى شعره ؛ لأن مهمة الشعر هى أن يهيج الحس ويرضى العاطفة وكفى ! . .

(٧) الفضيلة والشرف والعفة صفات لا يجب أن يعرفها الشاعر ولا أن يذكرها فى شعره !

(٨) الحياة الطاهرة البريئة غير مستحبة من الشاعر الذى يجب أن يغذى شاعريته « بالاسترسال فى دفعات الشباب الخارة » !

(٩) ليس الشعر وسيلة من وسائل الاصلاح الاجتماعى . وعلى الشاعر أن

يتورع عن نظم شعر التهذيب والشعر الانسانى ، والشعر الأخلاقى ، لأن ميدان الشعر ليس منبراً للوعظ والتهذيب

(١٠) « الحض على التفاؤل ومحاربة الشرور من أشرف الغايات التى يدعو إليها الانسان ولكن الشعراء يجب أن يكونوا آخر من يدعو لذلك » لأن الشياطين إذا ارتحلت عن هذا العالم وأصبح الخير حاكم الدنيا الأوحد لايجد الشعراء ما يقولونه إذ ذاك !

(١١) لاينبغى للشاعر أن يكتم أحزانه « ويأسر جراح قلبه » من غير أن يسمع الناس صراخه وعويله !

(١٢) لايجب أن « يتوخى الشاعر فى الأسلوب مايدعوه تعصيراً للغة إزاء من ذهبوا إلى إلباس اللغة ثوب الاستعراب والبداوة « ودعاة هذا المذهب يقولون ان « الأسلوب العربى التوّى باليغ فى كل زمان ومكان » ! ..

(٣)

هذه هى المبادىء الاثنا عشر التى أقاموها حدوداً للمذهب الفردى فى النقد ، وهى فى اعتبارى هادمة لشعر التجديد والتسامى ، ونود الآن أن نطبقها معاً على أدب الشاعرين المختارين هذه المرة : أبى شادى والعقاد ، وقد يكون من المناسب أن نذكر قبل هذا التطبيق أن واضعى قواعد هذا المذهب راعوا فيه أخلاق أمثال العقاد ومبادئه لأنهم يعجبون بأشباحها إلا أنك ستراه يخالف مع ذلك جوهر المبدأ . . . . ولنبدأ :

(١) لاينكر أبو شادى تأثره بما كان ينشره الفلاسفة القدماء عن السعادة والفضيلة وغيرهما ، أفلا يقول فى « السعادة — وفلسفة سقراط » :

لولا بحوثى وشكي ! لما عرفت (السعادة)
كأن سقراط أوحى إلى فؤادى فؤاده !

ثم أليس العقاد هو الذى يقول للسعادة :

وقد سألتك حتى ملت طول سؤالك

وترى أن أبا شادى كان يريد أولا أن يعرف كنه السعادة وعز عليه أن يقضى عمره وهو يجهلها :

عمرى تقضى بجهلى فيم أبقى اعتداده

حتى عرفته بها فلسفة سقراط فتركته يقول :

أما السعادة عندى فلذة مستعاده

إلى أن يقول :

لكن ولوعاً بخبر فالخبر أصل السعادة

أما العقاد . فقد اشتهاها وألح فى طلبها حتى ملل الالحاح وعرف إذ ذاك نه يجهلها :

وقد جهلتك لما سحرتنى بجمالك

ثم تركها معتقداً أن :

أشقى الأنام أسير معلق بجمالك

ثم خيل إليه أنه يعرف معدنها فقال :

إن السعادة تحت الأرض معدنها لا يطلب السعد من آوته أجيال

ولكنه رجع أخيراً وهو يعتقد .

إن السعادة لن تراها فى الحياة بمقلتين

ولا شك أن كليهما متأثر فى هذا إلى حد ما بآراء الفلاسفة :

وعلى ذلك فمذهب النقد الفردى يسقط من حسابه هذين الشاعرين ولكنه يوصى بالعقاد خيراً . لأنه مازال يتخبط لايتركه جهله بالسعادة يهدأ على حال !.

(٢) « أبو شادى الشاعر يحترف الطب » هذا صحيح ، وقليل من يجهل انه اختص بجانب دراسته للطب بعلم البكتريولوجيا . واهتم أيضاً بدراسة عـ

لأبقاطوريا (تربية النحل) وله فى ذلك رسائل علمية قيمة . . . فهو إذن غير فارغ للشعر . أما العقاد فقد يكون من الجائز أن تحسبه صحفياً ، ولكن الصحافة « لاتستنفد شطراً كبيراً من جهده وعنايته » فهو إذن فارغ للشعر أو على الأقل أكثر فراغاً له من أبى شادى وهو لذلك أشعر منه (!) ودع عنك أنه — رغم هذا الفراغ — لم تتمخض شاعريته فى السبع السنوات الأخيرة سوى عن جزء صغير من ديوانه لايحوى أكثر من قصيدته في رثاء المغفور له سعد زغلول باشا وبضعة أبيات مبعثرة . . . ودع عنك أيضاً أن أبا شادى — رغم هذه الشواغل — أخرج فى الست السنوات الأخيرة أكثر من عشرة مؤلفات تفيض شعراً ! . دع عنك كل هذا فدعاة المذهب الفردى يستطون أباشادى هذه المرة من زمرة شعرائهم لأنه كثير المشاغل و يثبتون العقاد لأنه أكثر فراغاً ! . :

(٣) لايرى أبو شادى مبرراً للابهام فى شعره التصوفى ولا في سائر شعره وهو يرى أن الخيال العالمى البعيد أجمل من الابهام ، والنظر إلى قوله :

مرت ملايينها لمحاً كثانية ... وخلفت حيرة كبرى لمن فهموا
ماالخلق؟ ماهذه الدنيا ومنشؤها ... ماالفكر؟ ماالجوهر الباقى؟ وماالعدم؟
مسائل هي للأحقاب باقية ... كما سيبقى الردى والشك والألم
أجل فرض لها وهم ، وأيسره ... وهم ، وقد يستوى الدهماء والعلم!

ألا ترى أنه محق في قوله ، وأن الوقت قد حان لترك « ابهام المتصوفين المألوف » !

أما العقاد فلا نعرف له شعراً فى التصوف أو مايقارب ، ولكننا نعرف له قصيدة فى معنى عكسى هى (ترجمة شيطان) التى يقول فيها عن الخالق :

قال كونى محنة للأبرياء ... فأطاعت ، يالها من فاجره !
ولو استطاعت خلافاً للقضاء ... لاستحقت منه لعن الآخره

وأنت ترى أنه لايحوطه فيها ذلك الابهام أيضاً ، وعلى ذلك فدعاة المذهب

الفردى يستطون أبا شادى من حساب شعرائهم فى هذه النقطة : ويلحقون به العقاد ، وإن أخذهم على هذا الاخير عطف ! . .

(٤) يرى أبو شادى أن لا مستقبل للشعر إن لم يهضم العلم وليس معنى هذا أنه يدعوا إلى نظم النظريات العلمية ولا أن يتضمن الشعر الحقائق العلمية البسيطة عارية ، فمثل هذا الظن لا يدل إلا على سخف صاحبه ! . . ولكنه يود لو هضم الشعر فكرة علمية سامية أو معنى علمياً طريفاً . . . يقول أبو شادى فى قصيدة مطلعها :

رحماك! كيف أرقت قدسى الدم؟! روحى أرقت به وإن لم تعلمى!

يصف نقطة دم « شفاعة على كتاب حب » :

يانقطة القلب الحبيب بما وعت أهلا بمقدمك الحبيب المكرم !
حملت آلاف الكرات جميلة فكأنها قبل سترن لمغنم
وكأن عينى مجهر نظرت بها ماغاب عن نظر الخلى أو العمى

فهل خسر الشعر شيئاً من صحبته للعلم فى هذه الأبيات الرقيقة الطريفة ؟! . .

أما آن لنا أن نتخلص من هذه القيود التقليدية التى تأبى صداقة العلم والأدب والفلسفة !

ولماذا نحرم على شاعر أن يقول للشمس :

ياحياة الكون مهما حجبت عنه نصف العمر وحياً ماغبن

يشير فى ظرف وبراعة إلى تقسيم الاشعاع بين نصفى الكرة الأرضية أو يقول لها :

أنت أصل الأرض والبدر الذى يعشق الأرض إذا البدر فتن
وتظل الدهر تهوى خشعاً حسنك الباقى على مر الزمن

أو يقول فى قصيدة (الجامعة المصرية) يتخيل مستقبل العلم وفتح القمر :

إن (السيرمان) — الذى حلمت به أحلامنا — المستبسل المغوار

للدارس الدنيا دراسة مبدع لا الأرض تكفيه ولا الأقمار
ولربما ركب الأثير موفقاً وتذللت لعتوه الأخطار
فيطير (للقمر) المرحب مثلما طارت الى أوكارها الاطيار
هو بضعة (للارض) ليس يفوتها وكأنما هذا (الاثير) بحار
وجميعها يوما ستصبح مركبا سهلا وتهتك حولها الاستار
ولربما وجد المياه به ، وان عدمت تغلب عليه الجبار :

وهي قصيدة بديعة نجتزىء منها بهذا ولو اتسع المقام لما تركنا منها بيتا . . .

فهل من النصفة أن نحرم شعر التجديد هذه المعاني العصرية الخالدة ! ! .

أما العقاد فشعره لا يهضم شيئاً من العلم لان ظروفه لم تهيء له دراسة علمية صحيحة ، وليس في هذا أنه لا يوافق على هضم الشعر للعلم فانه يحاول ان يكون في بعض قصائده منطيقاً ، والمنطق علم فلسفي وهو وان كان قليل التوفيق في منطقه فانه من أنصار هذه الفكرة . . . وعليه فدعاة المذهب الفردي يسقطون من حساب شعرائهم أبا شادي ولكنهم قد يترددون في اسقاط العقاد هذه المرة ! . . .

(٥) حقيقة أن ابا شادي يتحرى التحديد اللفظي في مواقف ، اما التحديد المعنوي فان الخيال في الاستعارة والمجاز يتركان في المعنى مجالا لتفكير المفكر ، أنظر الى قوله :

أقصى الظنون وجودي أصله العدم ومن عجيب وجودي ليس ينعدم

فقد يكون ظاهر هذا البيت التحديد ولكن الواقع ان فيه للتأمل مجالا غير محدود

أما العقاد فهو وان كان يتحرى التحديد اللفظي الا انه أشبه بتحديد معنوي أيضا ، انظر الى قوله .

أنت يارب لطيف في القضاء فاصعق اللهم من يجحد فضلك
هسما باسمك يارب السماء ما أرى في الناس من يدرك وصفك

فهل ترى فى هذين البيتين ما يبعث فى نفسك روح التفكير أو حتى ما يساعد عليها ؟ ! . . . إن التحديد هنا لفظى ومعنوى فلا تخرج معانيهما عن هيكل ألفاظهما قيد أنملة . وإذن فجماعة المذهب الفردى يستطون العقاد من حسابهم هذه المرة وهم راغمون كارهون ، وأنا واثق انهم سيسقطون من حسابهم معه أبا شادى فلنتركهم يفعلون ذلك ففيه له مفخره !

(٦) الشعر فى رأى أبى شادى « هو تعبير الحنان بين الحواس والطبيعة هو لغة الجاذبية وان تنوع بيانها، هو أو حدى الاصل فى المنشأ والغاية وصفا وغزلا ومداعبة ورثاء و وعظا وقصصاً وتمثيلا وفلسفة وتصويرا ؛ فان مبعثه التفاعل بين الحواس ومؤثرات الطبيعة ، وغايته العزاء والاحتماء بهذه الطبيعة ، وان تضمن أحيانا الغضب والسخط ، وما هو الا غضب الاطفال الصغار » وهو لهذا يمقت التأنق والتظرف والتصنع المبتذل . . .

أما العقاد فهو وان كان لا يفتأ يعلن سخطه على هذا التصنع والتظرف الا ان الواقع يثبت انه انما يتأثر بعض القدماء في ديباجاتهم المتأنقة ! وإذن فالمذهب الفردى يسقط من حسابه أبا شادى ولكنه يستمسك بالعقاد

(٧) يعتقد ابو شادى انه .

ليس يكفى الشعر فنا تلاه فهو روح النبوة المتعالى
كل شعر سواه لحن ضئيل وشعاع يموت طى الليالى

فالشعر أثمن من أن يصرف فى تزاويق لفظية أو معنوية لا طائل تحتها ! . . وهو لذلك لا يرى ما يمنعه من معالجة الموضوعات المهمة كالعفة والتعاون والفضيلة وهو الذى يقول لهذه الأخيرة .

للامانى والهوى والغوانى كم دعانى الاسى لفرط اكتئابك
ودعى هذه النفوس ورفقا بعض عذابه من عذابك !

وهو القائل عن الرذيلة أيضا :

ومن خاض الرذيلة فى دروس تنزه عن عواقبها عليلا
ولكن المجانب خوف ضعف يزل ويقتدى بعد الذليلا

أما العقاد فقد يوافق دعاة المذهب الفردى على أن الفضيلة والعفة والتعاون وما اليها صفات لا يجب ان يعرفها الشاعر ، وهو يحسب نفسه « بالطبع ! » من فحول الشعراء ! . .

(٨) « يعيش أبو شادى عيشة بريئة طاهرة لم يشبها استهتار بلذة ، ولا استرسال فى دفعات الشباب الخارة » هكذا يقرر دعاة المذهب الفردى ويريدون أن هذه الحياة لا تنتج الشاعر الذى يجب أن يغرى شاعريته « بالاسترسال فى دفعات الشباب الخارة » ولا أخال أبا شادى نفسه الا ملتمسا من هؤلاء الدعاة فى رفق ان يصدروا أمرهم الكريم باسقاطه من حساب شعرائهم هذه المرة أيضا ! . . .

أما العقاد فنحن لا نعرف شيئاً عن حياته ولكنا نظنه ان يسقط من حساب شعرائهم هذه المرة فلنتركه . . .

(٩) « أسمى ما بلغه الشاعر أخيرا من غرض انما هو درس الحياة وتحليلها وإذاعة خيرها ومكافحة شرها ، وهو غرض نبيل جامع ولن تكيف بصور شتى »

وأبو شادى إذن لا يرى بأسا من اتخاذ الشعر وسيلة من وسائل الاصلاح الاجتماعى ولا يتحرج فى نظمه شعر التهذيب والشعر الانسانى . . أوليس هو القائل . .

إن « الحياة » تضافر وتعاون سيان بين غنيها والمعدم
حتى الجماد فقد يؤازر بعضه بعضاً ، فكيف بمن لروح ينتمى ؟

ألا ترى ان فكرة التعاون التى تبثها مثل هذه الأبيات لا ترضى إخواننا دعاة المذهب الفردى الذين يريدون أن يجعلوا من ميدان الادب مضمار الصراع والملاكمة ؟

ثم هل ترى فى ديوان العقاد جميعه بيتا يحمل هذا المعنى أو حتى معنى يماثله ؟ !

إذن فلا تلم أبا شادى ان انسحب — هو — بلطف من شعراء هذه الزمرة وترك العقاد ينعم بزعامتها ! . .

(١٠) لا يمكن لشاعر مجد مخلص لنفسه ولفنه أن يعيش فى الحياة بلا مثل أعلى ، ولو وقع المستحيل ، وارتحلت الابالسة عن العالم . وأصبح الحق حاكم الدنيا الاوحد فهل تظن أن مطامح الانسانية تقف ! . . انها تتحرر اذ ذاك من الغرائز السافلة وتنصرف عن الحيوانية الى التكميل والتحسين المستمر ، واذن فلا يمكن لابى شادى ان يترك الحض على التفاؤل ومحاربة الشرور وقد اعترف دعاة هذا المذهب أنفسهم انها « من أشرف الغايات التى يدعو اليها الانسان » . ولعمرى لماذا يفرضون ارتحال الشياطين عن العالم وحكم الدنيا بالحق وحده ليمنعوا شعراء الاصلاح من مناجاة مثلهم العليا التهذيبية . لانهم لن يجدوا مجالا لنظمهم اذ ذاك ، ولا يمنعون شاعرا فاسقاً ممربدا من الاسترسال لانه هو الذى لن يجد هناك المجال لعربدته ! . .

ونحن لا نعرف رأى العقاد فى التفاؤل ولكنا نلمس تشاؤمه فى مناسبات كثيرة فليسقط دعاة المذهب الفردى أبا شادى من حساب شعرائهم وليهنؤا بالعقاد!

(١١) ابو شادى رجل يعرف ان الحياة طافحة بالمآسى ، ويدرى ان لكل امرىء فيها مكمنا يبعث الشجن فى نفسه — ولقد عاكسته الظروف وعاندته ولكنه يفضل ان يكتم أحزانه ، وان فاضت أحيانا على الرغم منه

وأما العقاد فكلنا يعرف انه رجل رفعته الظروف الحسنة إلى مستوى الادباء والشعراء ، ولكنه مع ذلك لا يترك فرصة تمر دون أن يملأ الارض بصراخه وعويله!

(١٢) لفتى الذى يوحيه ذوقى والذى لبى به الأدب الحديث ندائى
وأرى فمى وحجاى ثم براعتى ملكا لموطن الشقى شقائى

هكذا يقول أبو شادى رداً على الذين يعيبون عليه أسلوبه الحر المتدفق وإليك برهانه :

« الشاعر رسول قومه ، فيجب عليه حتما أن يكون بيانه بيانهم ، والا كان غريباً عنهم ، وهذا يعنى اجتناب التقعر وغريب التعابير التى لا توافق ثقافتنا

العصرية ، ولا تناسب أمزجتنا المصرية » وهو لذلك يدعو إلى استعمال « الفصحى السلسة وتطعيمها بالمختار المصقول من مفرداتنا وتعابيرنا القومية » وفى هـذا رد مفحم للذين يتوهمون أن « الأسلوب العربى القوى بليغ في كل زمان ومـكان » متناسين الوسط والبيئة وفعل الزمن !

ولعمرى إن « ضعف الأسلوب » الذى يحاول البعض إلصاقه بأبى شادى لأهون عندى من صفة يخلعها القارىء على العقاد عند مايقرأ قوله .

يلمح حـدباء القدامى كأنها أضالع فى أرماسـها تتهشم

أو قوله :

جناحين لو طار النصت فدومت شمارخ رضوى واستقل يلملم

فما حدباء القدامى ! وما الاضالع التى تتهشم من ارماسها ! وما الشمارخ ! أما رضوى ! ومايلملم ، وماالذى تركه العقاد أخير آلامرىء القيس وزهير واضرابهما ؟ ! . .

* * *

وترى أن أبا شادى كان يسقط دائـماً من حساب دعاة هـذا المذهب ؛ مذهب الفردية فى النقد . . وأن العقاد قد رجحت كفته فى هـذا الميدان ، بل أن أبا شادى نفسه كان يفضل الانسحاب أحياناً ! . .

وخيراً فعل أبو شادى ، فيترك هـذا الميدان للعقاد . . . ولـكن أى ميدان هو . . . ميدان من يريدون من الشاعر أن يكون « صائعاً » أى عاطلا متشرداً لايشغله منصب ذو مسؤولية ! . . مبهما غير واضح منهج التفـكير ! . . مشوش الفـكرة بعيداً عن الترتيب المنطقى المعقول ! . . متظرفاً متـكلفاً متهرجاً ! . . لايعرف فضيلة أو عفة أو شرفاً ! . . ولا يدعو لتعاون او لاخاء ! . . متورعاً عن نظم شعر التهذيب والشعر الانسانى والأخلاق ! . . كل همه أن يهيج الحس ويرضى العاطفة ، أو بالحرى الحيوانية والشهوة ! . . أى باختصار يكون كبائع « العرقسوس » يلجأ إليه من يطلب مبرداً فقط ! . . يكون آخر من

يدعو إلى التفاؤل أو يحارب الشرور ! . . دائم الصراخ والعويل ، لا يكتم عن الناس أشجانه ! . . ثم يجرى أخيراً خلف ذؤبان العرب المتحذلقين فى اللغة والأسلوب ! . . فهل يعرف القارىء شاعراً يجمع هذه الصفات المضحكة ! . .

لقد فاز العقاد على أبى شادى فى مقارنة عرجاء فى حدود المذهب الفردى ، ولكننا لن نترك القارىء قبل أن نشاهدهما معاً فى مقارنة شريفة فى حدود المذهب العام.

— ٤ —

قد لا تتوافر أسباب المقارنة بين أبى شادى والعقاد فكلاهما يمثل مذهباً خاصاً فى شعر التجديد ، ولكننا سنحاول أن نطبق أحكام المذهب النقدى العام. فنقارن بين الموضوعات المشتركة وفى هذا غنم للعقاد كبير . فأغراض شعره قليلة محدودة في حين ينظم أبو شادى فى شتى الأغراض بكثرة بل بإسراف !

نظم الشاعران فى الموسيقى فانظر كيف استهل العقاد :

معلمة الانسان ما ليس يعلم وقائلة مالا يبوح به الفم

وتأمل هذا التعريف السطحى الساذج ، ثم انظر الى استهلال أبى شادى.

عنانك مسحور وحيالك ساحر وأولع بالشعر الذى فيك شاعر

ثم عد بنا الى العقاد الذى يستتبع :

وكامنة بين النفوس بداهة وما علمت فى مهدها ما التكلم

وعرج بنا على أبى شادى :

وناجاك باسم (الفن) كل معبر عن الفن حيث الفن حولك دائر !

أترانا فى حاجة الى مقارنة ! واصدقنى بربك هل هناك وجه لهذه المقارنة بين أبى شادى الذى يقول :

وملؤك إعجاز وآيات قوة من الوعظ لم تبلغ مداها المنابر

و بين العقاد القائل :

تهزين أعطاف البخيل فيكرم ويصغى إليك المشمخر فيرحم (!)

لو لم يكن لأبي شادي الا البيت القائل :

وطهرت أنغامك (الروح) فاغتدت جمالا رقيقا كل ما فيه طاهر !

لوازن قصيدة العقاد كلها ورجح عليها ! . .

ونكرر : هل تجوز المقارنة بين العقاد الذي يقول في « المزمار » !

نفثات المزمار تـذكي أوارا رابني طـول برده وسكونه

وبين أبي شادي الذي يقول في « الارغن »

تئن كالاسد المجروح مازجه حب ، فكان يناجي القلب غصانا

نصغي اليك بروح كله شغف بما تلقنه وعظا وايمانا

كأنما هـو تنزيل بوزعـه عدت الاله على الواقفين إحسانا !

* * *

لا . . لن نحاول أن نخال أو نقارن ، ولكنا سنعرض عليك أبيات الشاعرين في المواضيع المشتركة ، ولا نحسب المقارنة تفتقر بعد ذلك لا يضاح . .

* * *

يقول العقاد في (مصور) . .

وممثلين على الطروس وربمـا وجـد المثال وربه لا يوجد

ومنها :

وكأنما تلك الطروس وذيلة فيها يطل على الوجود الملحد

ومنها :

صور باخلاد الزمان ترددت كالميت في ذكرى ذويه يردد (!)

ويقول ابو شادي في (مصور) أيضا :

أنظر تجد عجب الحياة خيالا في لوحة جعلت رجاءك حالا !

ومنها .

من منظر تجد الطبيعة عنده سكرى تعز بحسنها يتعالى !

و منها (وهو من أبرع الأبيات التصويرية التى رآها الشعر العربى) :

ولربما حاذرت بأس أشعة كادت تخيفك قوة وكلالا !

***

وبعد ، فقد نظم الشاعران فى (الربيع) و (البخيل) و (الحب الأول) و (الخريف) وغيرها فارجع إليها فى مؤلفاتهما ، ثم أصدر حكمك فى هذه المقارنة التى سنترك لك الحكم فيها ؛ ولكنا نتقدم إليك راجين أن تبقيه لنفسك لأن فيه ماقد يغضب العقاد وأشياعه فيتطاولون عليك بما لاتحب لنفسك ! ..

ولنترك العقاد يملأ الأرض بأنه شاعر الدنيا والآخرة بديوانه العتيق وأغراض شعره المحصورة ! . .

أما أبو شادى ، الذى أخرج أكثر من عشرة مؤلفات شعرية فياضة ، والذى علم العقاد وأمثاله النظم فى الشعر الانسانى والتهذيبى والقومى والوجدانى والليريكي . . فكفاه أن يتقدم إلى القارىء قائلا فى تواضع وحياء :

مازلت معترفاً بجهلى دائباً فى دفع أخطائى ورفع يقينى

***

ونحب أن يعرف القارىء أخيراً أننا لم نتعمد اختيار أبا شادى والعقاد ، وأن فى إمكانه الاستعاضة عنهما بشاعرين آخرين من شعراء التجديد يمثلان مذهبين مختلفين فى الشعر مثلهما ، ثم يدرسهما على نفس الطريقة وهو سيخرج بلا شك بنفس النتيجة !

على محمد البحراوى